

في
التشويير الإسلامي

((٤٣))



القدس

بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ



تأليف
د/ محمد عمار



Bibliotheca Alexandrina



الهيئة العامة للكتبة الأسكندرية

رقم التسجيل ٦٦٦٦٦٦٦٦٦٦
٦٦٦٦٦٦٦٦٦٦
رقم التسجيل ٦٦٦٦٦٦٦٦٦٦

٣٤

فس الشویر الإسلامى

القدس بین اليهودیة والاسلام

تألیف
د. محمد عزارة

EDITION OF THE ALEXANDRIA
BOOKS & PUBLISHING CORPORATION





اسم الكتاب	القدس بين اليهودية والإسلام
اسم المؤلف	الدكتور / محمد عمارة
إشراف عام	داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر	نوفمبر ١٩٩٩ م
رقم الإيداع	١٥٩٣٠ / ١٩٩٩ م
الترقيم الدولي	I . S . B . N 977 - 14 - 1154 - 3
الناشر	دارنهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسي	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة . مدينة السادس من أكتوبر .
مركز التوزيع	٢٣٠٢٨٧ / ١١ / ٠١١ (١٠ خطوط) فاكس: ١١/٢٣٠٢٩٦
ادارة النشر	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة ٠٢/٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٩٨٩٥ .
	فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ .
	٢١ ش أحمد عرابى - الممهندسين - الجيزة ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ - ٣٤٦٦٤٣٤ .
	فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ .

تقدير

من القرآن الكريم نتعلم منهاج التعامل مع دعاوى الخصوم ..
لا تتجاهل ما يدعون .. ولا نصادر ما يقولون .. وإنما نجادل
بالتى هي أحسن .. ونحاور بالمنطق والمحجة والبرهان ..
وإذا كنا في إطار المؤمنين بالله - سبحانه وتعالى - وقرآن
ال الكريم ، ورسوله ﷺ ، نستدل بأيات الكتاب وأحاديث السنة
النبوية ، فإن الاستدلال بهذا الحق وقف على من يؤمن بأنه
حق .. أما إذا كان الحوار مع دعاوى الذين لا يؤمنون بالله ، ولا
بقرآن ، ولا برسوله ، فإن المنطق العقلى والمحجة البرهانية هى
أدواتنا في الحوار ..

ذلك بعض ما يعلمنا إياه القرآن الكريم ..

● فعلى حين كان أهل الشرك والوثنية هم الذين يدعون إلى
منهاج «المصادرة» .. مصادرة آيات القرآن الكريم وبراهينه :
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغُوا فِيهِ لَعْنَكُمْ
تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] وجدنا القرآن الكريم يستحق هؤلاء
الشركين على أن يأتوا بما لديهم من «حجج» ، ويزروا ما لديهم
من «علم» ، ويعلنوا ما في حوزتهم من «براهين» ، ليبرد عليها
المنطق العقلى والبراهين اليقينية .. ﴿... قُلْ هَأْتُوا بِرُهَانَكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿البِّرْقَةُ: ١١١، النَّمْلُ: ٦٤﴾ ... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيْ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿الْأَنْبِيَاءُ: ٢٤﴾ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَمْسَاكَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَعْبُعُونَ إِلَّا الظُّنُنُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ ﴿الْأَنْعَامُ: ١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَاءُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿الْأَنْعَامُ: ١٤٩﴾ ﴿الْأَنْعَامُ: ١٤٩، ١٤٨﴾ .

بل ويعلمنا القرآن الكريم أن هذا هو المنهاج الإلهي حتى في يوم الحساب .. ﴿وَنَزَّعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿الْقُصْصُ: ٧٥﴾﴾

● وعندما حاول المشركون زحزحة القرآن عن مقام الإعجاز الإلهي ، ونسبته إلى الشعر ، والادعاء بأنّ الرسول ﷺ ما هو إلا شاعر .. ﴿بَلْ قَالُوا أَضْفَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴿الْأَنْبِيَاءُ: ٥﴾﴾ احتكم المنهاج القرآني إلى الواقع الذي عاشوه وعايشه .. فمحمد ، الذي ولد ونشأ بين ظهرينيهم ، لم يعرفوا عنه إبداع الشعر في يوم من الأيام ، ولا الاهتمام أو الامتلاك لما ينسغى للشعر من أدوات ، وذلك فضلاً عن البون الشاسع بين نظم القرآن

ونظم الشعر ، الذى هم فيه خبراء . . **﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْتَجِي
لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾** (٦٩) ليُنذرَ منْ كَانَ حَيَا وَيَحْقُّ الْقَوْلُ
عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠) **﴿ ﴾** [يس: ٦٩، ٧٠].

وعندما زعم المشركون أن هذا القرآن ، الذى جاء به محمد ، إنما هو من إبداعه واحتراجه ، فهو قول بشر ، وليس وحيًا إلهيًّا .. احتكم القرآن - في مجادلتهم - إلى المنطق العقلى والبرهان اليقينى .. فهم بشر كمحمد ، ولهم في الفصاحة دُرْبَةٌ فائقة ، وثمرات متالقة في سماء البيان ، فإذا كان هذا القرآن مما يتَّسَّى لابداع بشرى ، فليأتوا - وهم الفصحاء - بحديث مثله .. **﴿ أَمْ
يَقُولُونَ نَقَوْلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** (٢٢) **﴿ فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ ﴾** (٢٣) **﴿ ﴾** [الطور: ٣٤، ٣٣].

وعندما ذهبوا فزعموا أنه من إملاء « جبر الرومي » ، عليه على محمد ، سخرت الحجة القرآنية من هذا الادعاء السقيم .. « فجبر الرومي » أَعْجَمِي ، فكيف يملأ الأَعْجَمِيَّ هذا الإعجاز الذي أدهش وأعجز أساطير العرب البلغاء !؟ .. **﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلَّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا
لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾** (٢٤) **﴿ ﴾** [النحل: ١٠٢].

● وعندما كان المشركون ينكرون ويستنكرون البعث والإحياء

للعظام النخرة والأجساد التي طواها التحلل والفناء ، لم يكن منهاج القرآن الكريم في الحوار والجدال يكتفى بالإشارة إلى قدرة الله ، القادر على كل شيء .. وإنما كان يحتكم إلى المنطق الواقعى الذى يعيشه هؤلاء المنكرون والمستنكرون .. ألم ينشئ الله هذه العظام والأجساد وكل الخلوقات في نشأتها الأولى ، التي يحيونها ويعيشونها ؟ .. وأليست الإعادة - عادة ودائما - أخف وأولى وأسهل من الابتداء .. **﴿وَقَالُوا أَئِنَّا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاقًا أَئِنَّا لَمْ بَعُثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾** (٤٩) **﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾** (٥٠) أو **﴿خَلْقًا مِمَّا يَكْبِرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِّ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةً﴾** (٥١) [الإسراء: ٤٩ - ٥١].

هكذا يعلمنا القرآن الكريم منهاج التعامل مع دعاوى المخصوص .. إلا نتصادر ما يدعون .. وألا نتجاهل الذى يزعمون .. وألا نكتفى بتسرديد الحق الذى نؤمن به ، وإنما لابد من محاورتهم وتفنيده دعاوهم ، بالمنطق البرهانى والحجج العقلانية ، التي هى بثابة «العملة الدولية» و «الآليات العامة» المعتمدة في كل الأساق الفكرية ، ومن قبل كل أصحاب العقول ..

هذا هو منهاج القرآنى .. الذى نطبقه في صفحات هذه الدراسة .. حول القدس الشريف ..

* * *

فكثيرة هي الدراسات التي كتبها العرب والمسلمون عن مدينة القدس الشريف ، والتي زخرت صفحاتها ببراهين الحق الفلسطيني والعربي والإسلامي في القدس .. لكنها نادرة تلك الدراسات التي اهتمت بمناقشة دعاوى اليهود والصهاينة والاستعمار الغربي حول « الحق » اليهودي في هذه المدينة المقدسة .. وأندر من ذلك تلك الدراسات التي فندت دعاوى هؤلاء المخصوص بالمنطق العقلى ، والحجج البرهانية ، وليس بتردد مأثوراتنا الإسلامية حول الحق العربي والإسلامي في القدس الشريف ..

ونحن ، في صفحات هذه الدراسة ، قد اخترنا :

● وثيقة تحمل دعاوى قمة الغلو الصهيوني - « رابطة الدفاع اليهودية » - .. كتبها مؤسس هذه الرابطة « دانيال ياسبس » .. وفيها كل الدعاوى التي يستندون إليها في أن « القدس يهودية » ، ولا علاقة لها بالإسلام ، ولا مكانة لها في حياة المسلمين ، منذ حياة رسول الإسلام صلوات الله عليه وآله وسلامه وحتى الحقبة الراهنة في الصراع حول هذا المدينة المقدسة ..

● ثم قمنا بمحاورة هؤلاء المخصوص ، وتفنيده جميع دعاوامهم ، بالمنطق العقلاني ، الذي يحتمكم إليه ويستنجد بالآياته جميع العقلاة ، في كل الديانات والحضارات والقارارات والعصور .. لنتصل بنا هذه المحاورة إلى أن القدس إسلامية - هكذا كانت ولا تزال - وأنها لا علاقة لها لا باليهودية كدين ، ولا باليهود القدماء ، فضلاً عن الصهاينة المحدثين ..

● ثم ختمنا صفحات هذه الدراسة بحديث عن ماذا تعنيه
إسلامية مدينة القدس؟ ..

هل تعنى الاحتياط الإسلامى لقدسيتها دون الآخرين من
 أصحاب المقدسات؟ ..

أم تعنى هذه الإسلامية للقدس إشاعة قدسيتها لكل أصحاب
المقدسات؟ ..

ولقد احتكمنا في هذه الدراسة ، أيضاً ، إلى الواقع التاريخي ،
الذى عاشه كل أصحاب المقدسات ، ومنهم اليهود .. ذلك الواقع
الشاهد على أن القدس كانت ، دائمًا ، تقع في « الاحتياط » من
قبل من يسيطر عليها من غير المسلمين - الرومان ، في عصر
وثنيتهم وفي عصر نصرانيتهم .. والصلبيون الفرنجة .. والصهاينة
المعاصرون - بينما كانت السيادة الإسلامية على القدس هي
وحدها المؤمنة على فتح هذه المدينة أمام الجميع ، وإشاعة قدسيتها
بين جميع أصحاب المقدسات .. لأن ذلك جزء من عقدة الإيمان
الإسلامى .. وليس مجرد تسامح أو حق من حقوق الإنسان ..

* * *

وإذا كانت القدس الشريف - في الصراع الراهن بيننا وبين
الإمبرالية الغربية ، وشريكها اليهودية الصهيونية - هي « رمز »
هذا الصراع المركب والمعقد - الحضاري .. والديني ..
والتاريخي .. السياسي .. الخ - وهي ، كذلك ، بوابة التحرير

والانتصار.. فإننا نسأل المولى ، عز وجل ، أن ينفع بهمنه
الصفحات ، وأن يجعلها سلاحاً من أسلحة الوعى الإسلامى ،
والاستارة الإسلامية ، فى هذه المعركة المصيرية .. إنه ، سبحانه
وتعالى ، خير مسئول وأكرم مجيب ..

دكتور

الله مدحهارة

وجهة النظر اليهودية :
القدس يهودية .. وليس إسلامية

« أدرك مهندسو اتفاقات أوسلو من البداية خطورة وأهمية القدس ، فحاولوا تأجيل قضيتها إلى المرحلة النهائية من التفاوض ، خوفاً من أن تفجر مناقشة مستقبلها قبل القضايا المتفجرة الأخرى الهشة بين الإسرائيليين والفلسطينيين .

ولكنهم فشلوا ، فقد اندلعت أعمال العنف - الاتفاضة - عند فتح مدخل جديد للنفق (المؤدي إلى أسفل المسجد الأقصى) في سبتمبر ١٩٩٧ ، وأدى بناء وحدات سكنية في قطعة أرض خالية شرق القدس إلى إيقاف المفاوضات مؤخراً ، حتى أصبح واضحاً أن الصراع حول القدس لن ينتهي طويلاً ، لذا يجب على العالم المخاجرى أن يواجه الدعاوى المتصارعة من قبل اليهود والمسلمين حول المدينة التي دخلها الملك « داود » قبل ثلاثة آلاف عام .

وإذا فعل العالم المخاجرى ذلك سوف يسمع لا شك أكلاشيهات تقريرية توحى بأن القدس « مدينة مقدسة عند الطرفين » وتدل ضمنياً على تعادل الدعاوى اليهودية والإسلامية حول القدس ، ولكن هذا الاستنتاج خطأ كبير ، فالقدس هي أعظم مدينة دينية بالنسبة لليهودية ، وهي مكان مقدس لا يعتقد فقط بأن تربتها مقدسة بل هواءها أيضاً ، اليهود يصلون في اتجاهها ويذكرون اسمها في صلواتهم باستمرار وينهون صلاة عيد الفصح بعبارة شوق حزين « العام القادم في القدس » وينطقون باسم

المدينة « القدس » كلما باركوا طعامهم بعد تناوله .

مصلحة سياسية

فماذا عن دور القدس في الإسلام؟ إن أهمية القدس تأتي في مرتبة ثالثة لأهمية مكة والمدينة ، البلدان اللذان عايش فيهما محمد وشهدوا الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامي ، القدس ليست قبلة المسلمين في الصلاة ، ولم تذكر باسمها مرة واحدة في القرآن ولا تذكر على الإطلاق في صلوات المسلمين ، وهي ليست مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالأحداث التي جرت في حياة الرسول ، ولم تتحول القدس في يوم من الأيام إلى مركز ثقافي إسلامي أو عاصمة لدولة إسلامية ، هي فقط اتخذت أهمية بالنسبة للمسلمين بصورة متقطعة طوال القرون الثلاثة عشر الماضية ، وكان السبب في تلك الفترات المتقطعة - كما هي الحال اليوم - سياسياً والعكس صحيح أيضاً ، كلما تضاملت المنفعة (السياسية) من القدس ضعفت الحماسة وخدمت المشاعر تجاهها وتراجعت وضعيتها لدى المسلمين .

(وعلى حد زعم الدراسة) في عام ٦٢٢ ميلادية هرب النبي محمد من بلده مكة إلى المدينة ذات الكثافة السكانية اليهودية ، وعند وصوله - وإن لم يكن قبل ذلك - تبني عدداً من ممارسات اليهود الدينية مثل الصيام مقابل « يوم كيبور » بيت الصلاة مقابل الكنيس (معبد اليهود) ، قواعد التحليل والتحريم في الطعام مقابل الكوشير (الأكل على الطريقة اليهودية) .

وتبنى محمد أيضًا طقس اليهود عند الصلاة ، مستخدماً جبل الهيكل في القدس قبلة له وللمسلمين .

وكمما يقول الطبرى - أحد مفسرى القرآن القدامى - « اختار الرسول عليه السلام البيت الحرام بالقدس لكي يستميل أهل الكتاب (وبينهم اليهود) ، وسعد اليهود بذلك » .

ويرى المؤرخون المحدثون مثل « و . مونتجمرى وات » رائد دراسة السيرة الذاتية لـ « محمد » أن مغازلاته الشديدة لشاعر اليهود كانت جزءاً من رغبته في استمالتهم واسترضائهم .

ولكن اليهود انتقدوا الدين الجديد ورفضوا إشارات الرسول محمد عليه السلام لهم مما أدى إلى خصامه لهم في العام ٦٢٤ تقريرًا ، وجاءت الإشارة الدرامية ل لهذا التحول في الآيات القرآنية ١٤٢ إلى ١٥٢ من سورة (البقرة) ، والتي تأمر المؤمنين بأن يتوقفوا عن الصلاة في اتجاه « سوريا » وأن يستبدلواها بـ (يدكر القرآن ومصادر أخرى أن اتجاه القبلة « سوريا » بينما توضح معلومات أخرى أن سوريا تعنى القدس) .

هذه الحادثة تمثل غوذجاً تكرر عدة مرات في القرون التالية حين تزايد الاهتمام الدينى للمسلمين بالقدس لأنها تخدم مصالحهم السياسية ، وكلما تغير المناخ السياسى خجا اهتمامهم .

ففى القرن التالى لوفاة محمد دفعت السياسة دولة الأمويين المؤسسة فى دمشق والتي كانت القدس تحت سيادتها ، إلى جعل

المدينة مقدسة في الإسلام ، حيث فكر الأمويون في تقليل أهمية الجزرية العربية باعتبار قيمة القدس إثر تورطهم في منافسة ضاربة مع قائد مكة المنابع لهم .

فرعوا « ضرباً » من الأدب يمتدح « مزايا القدس » وفضائلها ، وعملوا على ذيوع وترويج أحاديث وأفعال للرسول ، تعلق من شأن القدس وفي السنوات ٦٨٨ م حتى ٦٩١ م أقاموا أول بناء ضخم في الإسلام هو « قبة الصخرة » على قمة بقايا المعبد اليهودي .

(وتستمر الأكاذيب بالقول) : وفي خطوة ماكرة ودقيقة أعاد الأمويون تفسير القرآن لايجاد « متسع » للقدس ، خاصة في وصف رحلة محمد ليلاً « الإسراء » ، والتي ورد فيها « سبحان الذي أسرى بيده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » عندما نزلت هذه الآية القرآنية حوالي عام ٦٢١ م كان موجوداً مكان يسمى المسجد الحرام في مكة ، وعلى العكس كان « المسجد الأقصى » تعبيراً مجرداً ، وليس مكاناً ، وفهمه بعض المسلمين كمجاز أو مكان في السماء ، ولو كان « المسجد الأقصى » موجوداً على الأرض في ذلك الوقت لكان في فلسطين أرضاً مختلفة (عن المسجد الأقصى) فتلك المنطقة تذكر في القرآن (سورة الروم - الآية ١) باسم « أدنى الأرض » .

ولكن الأمويين بنوا في عام ١٥٤ م مسجداً في القدس فوق جبل الهيكل تماماً ، وأسموه المسجد الأقصى ، بذلك لم يقحم الأمويون القدس في القرآن فقط ، بل أيضاً أعطوه دوراً بارزاً في حياة الرسول بأثر رجعي ، لأنه إذا كان المسجد الأقصى في القدس

فإن رحلة محمد ليلاً «الإسراء» والصعود اللاحق به (المعراج) إلى السماء تم فوق جبل الهيكل .

أى أن القدس تصبح مهمة دينياً فقط عندما تبرز أهميتها السياسية ، وكذلك عندما انهارت الدولة الأموية في العام ٧٥٠ م دخلت القدس فيما يشبه الظلام الدامس ، ففي القرون الثلاثة ونصف القرن التالي ، فقدت الكتب التي تشييد بـمدينة القدس الدعم الذي كانت تحظى به ، ولم تتوقف فقط عملية بناء المسجد الرائع ، بل إن المبني الموجود تهوى (انهارت قبة الصخرة عام ١٠١٦ م) ، فيصف مسلم من القرن العاشر الميلادي أحوال القدس متحسراً : المتعلمون قلة والمسحيون كثيرون ، وحكام الدولة الجديدة استنزفوا القدس ، والريف المحيط بها ، من خلال ما أسماه «فـ . إـي . بيـترـ» من جامعة نيويورك ، جشعهم ولا مبالاتهم .

الحملات الصليبية

ولاحظ بيترز أن الحكم الإسلامي للقدس في بداية القرن العاشر الميلادي كان «عرضياً متقطعاً» بدون أي أهمية سياسية خاصة ، وفي ظل ما يشبه اللامبالاة الإسلامية بالقدس أثارت الحملة الصليبية على المدينة عام ١٠٩٩ ، رد فعل ضعيفاً للمسلمين ، كما يلاحظ إيمانويل سيفان من الجامعة العبرية ، المتخصص في تلك الفترة : «لم ير الناس في ذلك صدمة أو إحساساً بالخسارة الدينية أو الذل ، ولم يتنام جهد جاد لاستعادة القدس إلا في عام ١١٥٠ عندما أكد حكام المسلمين على أهمية القدس

لإسلام ، وظهرت مرة أخرى الأحاديث التي تعلى من شأن القدس والكتب التي ترصد مزاياها وفضائلها ، ووضع حديث على لسان الرسول « محمد » يقول إنه بعد موته يكون سقوط القدس في يد الكفارة الكارثة الثانية التي تواجه الإسلام .

ومرة أخرى تراجع اهتمام المسلمين بالقدس ، بعد استيلاء صلاح الدين عليها وعودتها إلى أيدي المسلمين ، عندما تخلى عنها أحد أحفاد صلاح الدين في ١٢٢٩ م للإمبراطور فريدرick الثاني في مقابل وعد ألماني بدعمه عسكرياً في مواجهة أخيه الذي ينافسه على الملك ، ولكن عودة القدس إلى أيدي المسيحيين استفزت مشاعر المسلمين بقوة ، ونتيجة لذلك استعادها المسلمون تحت حكمهم في عام ١٢٤٤ ، وهنا يقدم علم النفس ملاحظة مفادها أن فرسان الصليب القادمين من بلدان بعيدة ليجعلوا من القدس عاصمتهم ، رفعوا من قيمة المدينة في عيون المسلمين أيضاً ، وكما يقول سيفان لقد أصبحت مستهدفة بقوة من أعداء الدين ، وهذا جعلها مقرية من قلوب المسلمين ، من خلال نوع من الأعراض المرضية للنظر في صورة المرأة .

عودة الظلام

ثم سقطت المدينة مرة أخرى في ظلام دامس لما يقرب من ثمانية قرون ، وفي لحظة من اللحظات تراجع عدد سكان المدينة إلى حوالي ٥٠٠٠ نسمة ، وهجر حرم جبل الهيكل وأصبح خراباً ، وفي ظل الحكم العثماني ١٥١٦ - ١٩١٧ ، عانت القدس مهانة

أن تعامل كمزرعة ، تقدم جبائية على غير المقيمين فيها ، وابتليت أيضاً بموظفين شديدي الجشع يجمعونها كل عام ، ورفعت السلطات التركية مواردها من المدينة بابتزاز الزوار الأوروبيين ، بينما لم تبذل إلا جهداً محدوداً في تحسين اقتصاد القدس ، وتظهر قوائم الضرائب أن « الصابون » كان المنتج الوحيد الذي تصدره المدينة ، ووصف چورچ سانديز للمدينة في ١٦١١ خير دليل ، حيث اكتشف كثيراً من الأكاذيب (المبانى القديمة تهدمت فيما عدا النهر القليل ، أما المبانى الجديدة فوضيعة) .

وفي عام ١٨٥٠ زارت « جوستاف فلوبير » المشهورة به « عدام بوفاري » القدس فوجدت أطلالاً في كل مكان ، وكتب مارك توين في عام ١٨٦٧ أن القدس فقدت كل جلالها القديم ، وأصبحت قرية فقيرة بائسة .

اليهود يوظون المسلمين !

وفي العصر الحديث يلاحظ الأستاذ الجامعى الإسرائيلى « هافا لا زاروس - يافى » أن القدس أصبحت محطة النشاط العربى الدينى والسياسى فقط عند بداية هذا القرن ، وفقط بسبب النشاط اليهودى الحديث فى المدينة وادعاءات اليهود حول حانط المبكى ، وقد أشعل أيضاً الحكم البريطانى للمدينة من ١٩١٧ وحتى ١٩٤٨ ، عواطف المسلمين تجاهها ، فجعل الزعيم الفلسطينى (ومفتى القدس) الحاج أمين الحسينى من جبل الهيكل مركزاً لناهضة الصهيونية ، وعلى سبيل المثال زيادة الدعم资料 from the image text.

العالم العربي من أجل إعادة ترميم قبة الصخرة ، وأعطى السياسيون العرب للقدس مكانة بارزة ، فمثلاً أثني زعماء العراق بصورة متكررة على المدينة حيث صلوا فيها بالمسجد الأقصى ، وخطبوا خطبًا حماسية .

الهاشميون والقدس

ولكن عندما استرد المسلمون المدينة القديمة ، ب المقدساتها الإسلامية في عام 1948 سرعان ما فقدوا اهتمامهم بها ، تركت قمة الإثارة عندما دخلت القوات الأردنية المدينة في 1948 ، وكان الشاهد عليها تتوسيع الأسقفية القبطية الملك عبد الله ، ملكاً للقدس ، في نوفمبر من ذلك العام ، وتلاها على الفور الملل المتاد من المدينة ، وانحصر ولع الهاشميون بالقدس ، حيث يقيم بعض أعدائهم اللذدين ، وحيث قتل الملك عبد الله نفسه في عام 1951 ، والحقيقة أن الهاشميين بنلوا جهوداً مكثفة للتقليل من أهمية المدينة المقدسة لصالح عاصمتهم عمان ، وتحولت تحت أيديهم من عاصمة إدارية بريطانية إلى مدينة ثانوية أو هامشية ، بعد أن علق العمل في المكاتب الحكومية بها ، وأغلق الهاشميون بعض المؤسسات المحلية (مثل اللجنة العربية العليا) ونقلوا البعض الآخر إلى عمان (مثل خزانة الوقف الفلسطيني) .

ونجحت جهود الهاشميين ، فتحولت القدس العربية مرة أخرى إلى بلدة محلية معزولة ، بلدة أقل أهمية من نابلس ، أصبح اقتصادها كاسداً ، وغادرها الآلاف من العرب ، وبينما زادت

الكثافة السكانية في عمان خمسة أضعاف في الفترة من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ ، كانت نسبة الزيادة في القدس ٥٠٪ فقط .

واختيرت عمان لتكون مقرًا لأول جامعة أردنية ، ومقر الكثير من قصور الأسرة الملكية ، وربما كان أقصى ما وصلت إليه الاستهانة بمدينة القدس ، أن إذاعة الأردن راحت تنقل « صلاة الجمعة » من مسجد في عمان بدلاً من أن تذيعها من المسجد الأقصى !

والعرب الآخرون نسوا القدس

ولم يقتصر تجاهل القدس على الأردن ، فقد اختفت فعليًا من خريطة الدبلوماسية العربية ، ولم يأت قائد عربي إلى القدس في الفترة من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ ، وحتى الملك حسين لم يزراها إلا نادرًا .

وفيصل ملك السعودية العربية الأسبق ، والذى تحدث مرارًا بعد ١٩٦٧ ، عن حنينه إلى الصلاة في القدس ، لم يبد مطلقاً راغبًا في الصلاة فيها عندما كانت الفرصة متاحة أمامه من قبل واجدier باللحظة أيضًا أن الوثيقة التأسيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية - الميثاق الوطني الفلسطيني في ١٩٦٤ - لم تذكر القدس ولو مرة واحدة .

كل ذلك تغير بصورة مفاجئة بعد يونيو ١٩٦٧ ، عندما دخلت المدينة القديمة تحت السيطرة الإسرائيلية ، وكما حدث في الحقبة

البريطانية عاود الفلسطينيون وضع القدس في «قلب» برنامجهم السياسي، وأبرزت صورة قبة الصخرة في كل مكان، من مكتب ياسر عرفات وحتى محل البقالة، ووصف دستور منظمة التحرير الفلسطينية 1968 القدس بأنها «مقر منظمة التحرير الفلسطينية».

عودة الاهتمام

ولم ينفرد الفلسطينيون ببعث اهتمامهم بالقدس بين العرب، وحسب إشارة لازاروس يافى، بدأ حكام المسلمين مجدداً في التأكيد على «حرمة وقدسية» القدس في التراث الإسلامي، بالضبط مثلما حدث في فترة الحروب الصليبية، إلى حد إزاحة الغبار عن الأحاديث القدية، التي تدعم ادعاءاتهم، وأصبحت القدس الداعمة الأساسية لقرارات الجامعة العربية والأمم المتحدة وراح حكام الأردن وال سعودية البخلاء على القدس في الماضي، يقدمون بسخاء هباتهم إلى وقف القدس.

وكما كان الأمر في زمن الانتداب البريطاني، أصبحت القدس بدءاً من 1967 الأداة الرئيسية لخشد الرأي العام الإسلامي الدولي وأعطى «حريق في المسجد الأقصى» للملك فيصل الفرصة كى يدعو 25 حاكماً مسلماً، ويوسّس منظمة المؤتمر الإسلامي، واستندت السلطة الشيعية الحاكمة في لبنان بانتظام على موضوع تحرير القدس لكي تخدش مواطنها نحو تحرير لبنان، ومنذ قيام الثورة الإسلامية في إيران والعملة الإيرانية من «الريال» إلى «اللّف ريال» تحمل صورة قبة الصخرة وفي أثناء الحرب

الإيرانية مع « قوات صدام حسين » في الثمانينيات تلقى الجنود الإيرانيون خرائط قدية ، موضوع عليها طريق إلى القدس يمر عبر بغداد ، وكذلك أعلن آية الله خوميني يوم الجمعة الأخيرة من رمضان « يوماً للقدس » ليصبح مناسبة عظيمة للخطب النارية ضد إسرائيل .

(وتستمر المزاعم والأكاذيب الإسرائيلية) منذ الاحتلال الإسرائيلي حاول بعض الأيديولوجيين وضع الأسس التاريخية للحاق القدس بالإسلام من خلال ثلاثة ادعاءات رئيسية كلها محل شك تاريخياً ، أولاً : الجزم بأن صلة الإسلام بالقدس تسبق صلة اليهود بها ، فتؤكد - مثلاً - غادة تلحمى المتخصصة في كلية « ليك فورست » أنه هناك مدن مقدسة أخرى في الإسلام ، ولكن القدس لها مكانة خاصة في قلوب وعقول المسلمين لأن مصيرها كان دائماً توعماً لمصيرهم .

دائماً ! دائماً ! كيف إذن ، وإذا كان تاريخ إنشاء القدس سابقاً على الإسلام بحوالي « ألفى عام » من الزمان ! فكيف يدعى أولئك المسلمون قدم صلة الإسلام بالمدينة ؟ يفسر لنا هذه المفارقة « إبراهيم هوير » مدير الاتصالات الوطنية في مركز واشنطن للعلاقات الإسلامية - الأمريكية بقوله : إن صلة المسلمين بالقدس لا تبدأ من الرسول محمد ولكنها تبدأ بالأنبياء والرسل السابقين ، إبراهيم ، وداود ، وسليمان ، وعيسى الذين يعتبرون في الإسلام أيضاً رسلًا وأنبياء ، بكلمات أخرى فإن الشخصيات

المركزية في اليهودية وال المسيحية كانت خواجز أولى من المسلمين .

ثانيًا : هناك ادعاء يمثل مفارقة تاريخية كاملة مفاده أن القرآن ذكر القدس بين آياته ، ويرى هوبر وأخرون أن القرآن يشير إلى القدس من خلال قلبها الإسلام ، المسجد الأقصى ، وهو ادعاء بلا أي مصداقية (كماتزعم الدراسة) فالمسجد الأقصى الذي بني بعد قرن من نزول القرآن لا يمكن أن يفسر به على الإطلاق المعنى الأصلي للأية القرآنية المشار إليها من قبل .

ثالثًا : ينكر بعض المسلمين أهمية القدس عند اليهود ، فقد أعلن بصرامة كاملة مؤخرًا عبد الملك الدهامشة عضو البرلمان الإسرائيلي أن الحائط الغربي لا علاقة له ، وليس ضمن بقایا المعبد اليهودي ، وذهب الزعيم العربي - الإسرائيلي الأصولي - إلى أبعد من ذلك بقوله : لا يحق لليهود أن يصلوا عند الحائط الغربي ، وبكلمات أكثر إحكاماً للشعار الإسلامي المتشدد « القدس عربية » .

ضد القدس !

ورغم هذه الادعاءات الصماء بأن القدس تنتمي أصلاً إلى الإسلام ، إلا أن الدين الإسلامي يحوي تياراً ينحسر إلى حد ما لكنه موجود بشكل دائم من النظرة المضادة للقدس ، وربما كان من أبرز أنصار هذه النظرة هو ابن تيمية (١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) ، أحد المفكرين في الإسلام ومن أكثرهم صرامة وتأثيراً (ويعتبر الوهابيون في الجزيرة العربية خلفاء المعاصرين) .

في محاولته لتطهير الإسلام من البدع والخرافات استبعد ابن تيمية تقدیس القدس ، باعتباره اعتقاداً مبتدعاً مصدره اليهود والسيحيون ، ومصدره تنافس الأمویین القدم مع مکة ، ويوضح أكثر فإن المسلمين المتفقهين الذين عاشوا في السنوات التالية للحروب الصليبية يعلمون أن الانتشار الواسع للأحادیث التي تمجد وتحتاج قداسة المدينة سببه محاولة مواجهة الصليبيين ، أى أن مصدره خلاف ومواجهة سياسية ، وبالتالي تعاملوا معها باحترام وحذر .

لذلك نجد أن ذلك الأمر لم يستقم تماماً ، فرغم التأكيد على أن الله أمر المسلمين بالتوجه إلى القدس قبلة للصلوة أولاً ، ثم أمرهم بعد ذلك بالتحول عنها إلى مکة ، وورود بعض الأحادیث التي تحض على أن يصلى المسلم بعيداً عن قبلة القدس ، فإن رفضاً لهذا التحول ما زال موجوداً على نحو محدود ، فالذى يصلى في المسجد الأقصى لا يعطى ظهره بدقة إلى منطقة « المعبد اليهودي » الذي يصلى اليهود في اتجاهه .

القدس ثانوية بالنسبة للمسلمين

إن مسألة الادعاءات الدينية والتاريخية في القدس تظل معاذلاً متكافئاً للوثائق القانونية ، في أي مكان آخر في العالم ، ومن يستطع أن يثبت صلة أعمق وأكثر امتداداً بالمدينة تكون له فرصة أفضل في كسب الدعم الدولي لحكمه لها .

وفي هذا السياق ، فإن حقيقة دور السياسة في إلهاق المسلمين

القدس إلى أنفسهم تتضمن جزئيتين : الأولى : أنها تثبت الضعف النسبي للصلة الإسلامية بالمدينة وهي صلة مصدرها اعتبارات مؤقتة لاحتياج دنيوي ، أكثر من كونها دعوى عقائدية ثابتة وغير قابلة للتغيير .

والثانية : أنها تثبت أن اهتمام المسلمين لا يتركز في السيطرة على المدينة بقدر ما يتركز في إنكار أي سيطرة أخرى عليها .

والقدس لن تكون أبداً أكثر من مدينة ثانوية بالنسبة للمسلمين ، وعلى النقيض منها تقف « مكة » المدينة الأبدية للإسلام ، مكاناً يعتقد المسلمون أن « إبراهيم » افتدى فيه أخاه إسحاق « إسماعيل » وقبلتهم التي يصلون إليها خمس مرات كل يوم ، ومن المحرم على غير المسلمين دخولها .

وبذلك يكون كل سكانها مسلمين ، ومكة تستثير في نفوس المسلمين الشعور ذاته الذي تثيره القدس في نفوس اليهود ، وكل ذكر لها يستدعي الخشية في قلوب المسلمين ، كما كتب ذات مرة عباد أحمد - عضو مؤسسة المجتمع الإسلامي بوسط جيرسي - بكلمات أكثر صراحة و مباشرة ، القدس بالنسبة لليهود هي بالضبط مثل مكة بالنسبة للمسلمين ، وكما أن المسلمين يحكمون « مكة موحدة » فإن اليهود يجب أن يحكموا « قدساً موحدة »^(١) .

(١) نشرت نص هذه « الوثيقة » مجلة (الأهرام العربى) عدد ١٠٨ بتاريخ أول محرم ١٤٢٠ هـ الموافق ١٧ أبريل ١٩٩٩ م ، صفحات ١٨ - ٢١ . ولقد قمنا بتقليدها - في ذات المجلة - العدد ١١٢ بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٠ هـ الموافق ١٥ مايو ١٩٩٩ م ، صفحات ٢٢ - ٢٣ .

وجهة النظر الإسلامية:
القدس .. بين اليهودية والإسلام

عندما نناقش «حجج» ودعوى الآخرين ، حول قضية القدس ، يجب أن نتجرد من منطق صاحب الحق الذي يخاطب ذاته .. فنتحدث بالمنطق «الموضوعي البارد» ، الذي يفنى «حجج» المخصوص ، بمنطق هؤلاء المخصوص ، وبلغة العلم وعقلانية الفكر ، لا بالعواطف ، أو حتى بآثاراتنا الدينية الخاصة التي لا يؤمن بها الآخرون ..

وفي تطبيق هذا المنهج على «وثيقة» «رابطة الدفاع اليهودية» - التي كتبها اليهودي الصهيوني الأمريكي «دانيال ياسبيس» - أكبر مساعدى «بنيامين كاهانا» - ابن المخاخم الإرهابى «مائير كاهانا» - مؤسس هذه الرابطة - .. فى مناقشة هذه «الوثيقة» نجد أن صرامة المنطق المجرد - وهو فى الفكر عملة دولية عامة - تقودنا إلى «إسلامية القدس» ، والى نفى أية علاقة لهله المدينة باليهودية واليهود ..

● تقول هذه «الوثيقة» : «إن القدس هي أعظم مدينة دينية بالنسبة لليهودية» .

فهل هذا صحيح؟ .. وهل هناك علاقة ما بين اليهودية وبين مدينة القدس؟ ..

لقد روج اليهود هذه الدعوى ، حتى تبنتها الكاثوليكية - ومن قبلها البروتستانتية - فوجدنا بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني ،

يتحدث عن القدس فيقول : «منذ عهد داود ، الذى جعل أورشليم عاصمة لملكته ، ومن بعده ابنه سليمان ، الذى أقام الهيكل ، ظلت أورشليم موضع الحب العميق فى وجدان اليهود ، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام ، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم ، وهم يرون فى المدينة شعاراً لوطنهم » (عن مقال الأنبا يوحنا قلتة - الأهرام فى ١٢ - ٥ - ١٩٩٧ م) .

ووجدنا - كذلك - التحالف المسيحى البروتستانتى - فى أمريكا - تحت تأثير « الصهيونية - المسيحية » - عندما جعل الكونجرس الأمريكى يقرر - ١٩٩٥ م - نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس - وبناءها على أرض الأوقاف الخيرية الإسلامية ١ - ينص فى مقدمة هذا القرار على « أن القدس هى الوطن الروحى للיהودية » .

فهل حقاً تمثل « القدس أعظم مدينة بالنسبة للיהودية » - كما تقول « وثيقة » رابطة الدفاع اليهودية ؟ .. وهل هى « شعار الوطن اليهودي » كما يقول بابا الفاتيكان ؟ .. و « الوطن الروحى للיהودية » كما يقول الكونجرس الأمريكى ؟ ..
لنسأل أولاً : ما هى اليهودية ؟

إنها - بالمعنى العلمى المجرد - هى شريعة نبى الله موسى عليه السلام التى جاءت بها الألواح والأسفار التى أوحى الله بها إلى موسى ..
وهنا نسأل - ثانياً - : هل هناك أية علاقة بين شريعة

اليهودية .. ونبي اليهودية .. وторاة اليهودية .. وبني إسرائيل الذين توجهت إليهم التوراة والشريعة وبين مدينة القدس ؟

إن نبي اليهودية قد ولد ونشأ وعاش ومات ودفن في مصر ، ولم ترعيته القدس في يوم من الأيام ..

وإن توراة اليهودية وشريعتها ووحيها قد نزلت في مصر ، وباللغة الهيروغليفية - وقبل وجود اللغة العبرية - ولم تشهد القدس - عبر تاريخها الطويل - شيئاً من ذلك في يوم من الأيام ..

فأين هي العلاقة الروحية - علاقة « الوطن الروحي » - التي يتحدثون عنها بين اليهودية وبين القدس ١٩

● فإذا قالوا - وهم بالفعل يقولون - بلسان « وثيقة » رابطة الدفاع اليهودية : « إن اليهود يصلون في تجاه القدس ، ويذكرون اسمها في صلواتهم باستمرار ، وينهون صلاة عيد الفصح بعبارة شوق حزين : « العام القادم في القدس » ..

فإننا سنقول لهم : حسناً .. لكن ، هل صلاة أبناء دين من الأديان تجاه مدينة من المدن ، ترتب لأبناء هذا الدين حقوقاً « وطنية .. وسياسية .. وسيادية » في هذه المدينة ؟

إن الأرثوذكس - الروس ، واليونان ، والصرب ، والمصريين ، والأحباش - يصلون جميعاً تجاه القدس ، وإليها يحجون ، وفيها يتقدسون .. ومعهم ، في ذلك ، كل شعوب الكاثوليك ، في جميع أنحاء الدنيا ، وكذلك كل الأمم والقوميات البروتستانتية ..

فهل يرتب التوجه إلى القدس في الصلاة لكل هذه الأمم والشعوب والقوميات والأجناس حقوقاً « وطنية .. سياسية .. سيادية » في مدينة القدس ؟

إن القول بهذا « المنطق » ، جديր بعالم « النكات » ، وهلوسات ضحايا المخدرات ، ولا علاقة له بأدنى مستويات العقل والعقلاء ! وقس على ذلك توجه المسلمين ، من مختلف الأمم والأوطان إلى مكة في الصلاة .. وهو الذي لا يرتب لشعوبهم في مكة أية حقوق « وطنية .. أو سيادية .. أو سياسية » ..

● فإذا قالوا : لقد عاش وحكم في القدس داود وسليمان عليهما السلام ، وفيها بنى سليمان هيكلًا لليهود .. فسنقول لهم : نعم .. لكن هذا لا يقيم علاقة بين اليهودية وبين القدس .. وذلك لعديد من الأسباب التاريخية والمنطقية والواقعية .. منها :

١ - أن داود وسليمان - ينطوي اليهود واليهودية - هم من « الملوك » ، وليسوا من « الرسل والأنبياء » ، ومن ثم فما قام بهم في القدس وعلاقتهم بها هي علاقة الاستيلاء السياسي والخربى ، وليس علاقة دينية بين القدس وبين اليهودية كدين ..

٢ - وأن علاقة داود وسليمان بالقدس ، كانت - بالنسبة لعمر القدس ، الذي يبلغ الآن ستة آلاف عام - علاقة عارضة وطارئة ، وسريعة الزوال .. فهى قد بدأت في القرن العاشر قبل الميلاد ، بعد أن كان عمر القدس قد بلغ ثلاثة آلاف عام - فهى قد أمسها « اليهوسيون » ، أجداد العرب الفلسطينيين ، قبل الميلاد بأربعة

آلاف عام - ولم تدم العلاقة بين داود وسلامان ، بل وبين كل العبرانيين وبين القدس وفلسطين أكثر من ٤١٥ عاماً ..

فهل يُؤسس ذلك لليهود حقاً « وطنياً .. وسياسياً .. وسيادياً » دائمًا في القدس وفلسطين ؟

لقد أقام العرب المسلمين وحكموا في الأندلس ثمانية قرون ، وبنوا فيها المساجد التي لا تزال قائمة حتى الآن .. فهل يرتب ذلك لهم في إسبانيا والبرتغال حقوقاً « وطنية .. سياسية .. وسيادية » ؟

ولقد أقام الإسكندر الأكبر المقدوني (٢٥٦ - ٣٢٤ ق.م) في مصر وغيرها من بلاد الشرق مدناً ومعابد وإمبراطورية دام حكمها وحكم خلفائه فيها قرابة العشرة قرون - من القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي - .. فهل يرتب ذلك للشعب المقدوني أو الإغريقي أو الروماني - أو لهم جميعاً - في مصر والشرق حقوقاً « وطنية .. وسيادية .. سياسية » ؟

وقبل الإسكندر ، دخلت كثيرون من بلاد الشرق تحت حكم « قمبيز » (٥٢٩ - ٥٢١ ق.م) الفارسي .. وفيها بنى المعابد والهياكل والقلاع ..

وقبل « قمبيز » ، حكم الفراعنة - قروناً متطاولة - أغلب هذه الأقطار ، وأقاموا فيها المعابد ، وتركوا فيها الآثار .. فهل يطالب أهل

مصر . . أو أهل فارس بالسيادة الوطنية والسياسية على تلك
البلاد ١٩

● وهذا المعبد الذي بناء سليمان الظاهر - والذى دمره البابليون
مع مملكة يهودا سنة ٥٨٥ ق . م - هل حقاً ما يدعى اليهود أن
المسجد الأقصى قد بني على أنقاضه ؟

إن اللجنة الملكية البريطانية قد حكمت سنة ١٩٢٩ م بأن ما
يسميه اليهود « حائط المبكى » هو « حائط البراق » - جزء من
المسجد الأقصى ، ومراجعة رسول الإسلام ، ولا علاقة له بهيكل
سليمان . .

ولقد مضى ثلث قرن على احتلال اليهود للقدس الشرقية ،
وتكتيفهم البحث والتنقيب وتقليب باطن الأرض بحثاً عن أي أثر
أو دليل على دعواهم هذه ، لكنهم لم يعثروا في كل هذه المنطقة ،
وطوال هذه السنين ، على أدنى أثر لهذا الهيكل المزعوم . .

فأين هي العلاقة بين اليهودية واليهود وبين مدينة القدس ؟

● ثم . . هل يهودية التلمود . . ويهودية الصهيونية هي يهودية
موسى الظاهر ؟

إن أسفار التوراة ذاتها شاهدة على نقض اليهود لشريعة موسى ،
وعلى استحقاقهم لعنة الله بسبب خروجهم حتى على التوحيد !
كما أن اليهودية المعاصرة - التي تحتل القدس وفلسطين -
تصرّف اليهودي بأنه « هو المولود من أم يهودية » . . فالمعيار فيها

«بيولوجى» ، وليس دينيا ، وبذلك أصبح «يهود الخزر» و «الأشكناز» ، الذين لا علاقة لهم ببني إسرائيل والعبانيين ، والساميين هم اليهود - وفق هذا المعيار «البيولوجى» - حتى ولو كانوا ملحدة ، أو أبناء زنا !

فأين هى العلاقة بين اليهودية وبين القدس .. بل وأين هى العلاقة بين هذه اليهودية «العنصرية - البيولوجية» ، وبين يهودية شريعة موسى العظيمة ؟

هذا هو «المنطق الموضوعى .. المجرد .. بل والبارد» ، الذى نفند به دعوى العلاقة الدينية بين القدس وبين اليهودية واليهود ..

* * *

وبنفس هذا المنطق نناقش «الشبهة» التى تشيرها «وثيقة رابطة الدفاع اليهودية» ، والتى تشكك بها فى قيام علاقة جدية بين القدس وبين الإسلام ، ورسول الإسلام ، والثقافة الإسلامية .. وذلك عندما تقول : «إن دور القدس فى الإسلام يأتى فى مرتبة ثالثة بعد مكة والمدينة .. والقدس ليست قبلة المسلمين فى الصلاة ، ولم تذكر باسمها مرة واحدة فى القرآن ، ولا تذكر على الإطلاق فى صلوات المسلمين ، وهى ليست مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالأحداث التى جرت فى حياة الرسول ، ولم تتحول القدس فى يوم من الأيام إلى مركز ثقافى إسلامى ، أو عاصمة لدولة إسلامية ..

وما جاء في آية سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدَهُ
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ
لَنْرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

تقول عنه «وثيقة» رابطة الدفاع اليهودية ، إنه « مجرد تفسير أموي » لا يعني مدينة القدس ، فلم يكن هناك يوم نزلت هذه الآية - سنة ٦٢١ م - مسجد في القدس اسمه (المسجد الأقصى) ، لأن هذا المسجد قد بني في العهد الأموي ..

تلك هي دعاوى اليهود ، التى تنفى وجود علاقه بين الإسلام وبين القدس .. وبين الثقافة الإسلامية والدولة الإسلامية وبين القدس ..

وفي الرد على هذه الدعاوى ، وتفنيدها .. نقول :

● إذا كان الحديث النبوى الشريف يجعل القدس ثالث الحرمين - بعد مكة والمدينة - فإنه يجعلها أولى القبلتين ، أى يقدمها - فى الترتيب التاريخى كقبلة للمسلمين - على مكة المكرمة والكعبة المشرفة .. لقد صلى إليها رسول الله ﷺ خمسة عشر عاماً ، ثم توجه إلى الكعبة بالصلوة قبل وفاته بثمانى سنوات ..

ثم إن السنة النبوية قد جعلت القدس على قدم المساواة مع
مكة والمدينة في الاختصاص بشد الرحال .. أي السفر للصلوة
في مساجدها الجامعة - الحرم المكي .. والحرم المدنى .. والحرم

القدسى - .. . فهى - القدس - المقدمة - تاريخيًّا - كقبلة إسلامية لصلة المسلمين .. وهى المساوية لمكة والمدينة فى شد الرجال إليها للصلة .. « لا تُشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام .. والمسجد الأقصى .. ومسجدى هذا » (رواية البخارى ومسلم) .

● وعبارة (المسجد الأقصى) فى آية سورة الإسراء تعنى مدينة القدس - كل القدس - ولا تعنى « المسجد » بمعنى البناء المعماري « للجامع » ، فلم يكن هذا البناء - « الجامع » - قائماً بالقدس سنة ٦٢١ م ليلة الإسراء .. وكل ذلك عبارة (المسجد الحرام) فى هذه الآية ، تعنى مكة - كل مكة - ولا تقتصر على الكعبة والمسجد الحرام .. فرسول الله ﷺ عندما أُسرى به لم يكن ساكناً ولا نائماً في المسجد الحرام - « الجامع » - وإنما كان في مكة ، فالإسراء به قد تم من (المسجد الحرام) - أى مكة - إلى (المسجد الأقصى) - أى القدس - .. وفي ذلك دلالة على اعتبار القرآن كل مكة مسجداً حراماً - أى حرمًا مكيًّا - وكل القدس مسجداً أقصى - أى حرمًا قدسياً ..

● ويزكى هذه الحقيقة ويشهد لها وعليها وبها أن المسلمين ، ومنذ فجر الإسلام ، قد عاملوا القدس ، كمكة ، معاملة الحرم الشريف .. ومن عيارات وامتيازات الحرم في الإسلام تزييه بتحريم القتال وسفك الدماء فيه .. وعندما فتح المسلمون - بقيادة رسول الله ﷺ - مكة سنة ٨ هـ حرصوا على فتحها سلماً دون قتال ،

لأن الحرم لا يجوز فيه القتال .. وهم قد صنعوا ذلك مع القدس عندما فتحوها سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) .. فلقد حاصروا حتى صالح أهلها على فتحها سلماً ، وتفرت مكة والقدس بذلك دون جميع المدن التي فتحها المسلمون .. وكما تسلم رسول الله مكة يوم الفتح ، تفرت القدس - دون كل مدن الفتوحات الإسلامية - بأن استلامها كان من اختصاص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وليس من قبل قائد الجيش الفاتح ، رغم أن هذا القائد كان هو أمين الأمة الإسلامية أبو عبيدة بن الجراح ..

هذا عن مكانة القدس بالنسبة لمكة والمدينة .. وعن ذكرها في القرآن الكريم ..

● أما دعوى أن القدس لا تذكر في صلاة المسلمين ، فهى قد تهافت ، عندما ثبت أن المراد بـ (المسجد الأقصى) - في آية سورة الإسراء - وهى التي يصلى بها المسلمون في صلواتهم على امتداد أقطار الأرض ، وأناء الليل وأطراف النهار - هو مدينة القدس الشريف .. كما أن آيات المعراج - في سورة النجم (١٣ - ١٨) - والتي يتبعدها المسلمون في الصلاة وغير الصلاة ، إنما تذكرون بالمعراج من القدس الشريف ..

● وإذا كان الإسراء برسول الله ﷺ قد حدث من مكة إلى القدس .. وإذا كان معراجه قد تم من القدس .. فهل يجوز - بعد ذلك - أن تدعى «وثيقة» رابطة الدفاع اليهودية أن القدس «ليست مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالأحداث التي جرت في حياة الرسول» ١٩

إن هذا الإسراء هو إحدى معجزات رسول الإسلام . . وارتباط القدس بمكة في هذه المعجزة هو - بتعبير القرآن الكريم - آية من آيات الله . . كما أن المراجعة من القدس ، هو الآخر ، إحدى معجزات الرسول ﷺ . .

فكيف يكون ، وأين يكون الارتباط المباشر بحياة الرسول ، إذا لم يكن هذا هو الارتباط !؟

لكل ذلك ، غدت الرابطة بين القدس ومكة عقيدة دينية إسلامية ، وآية تتلى في القرآن ، وترتلى في الصلوات الإسلامية ، ومعجزة من معجزات الرسالة الإسلامية . . وواحدة من عقائد الجهاد الإسلامي ، تحدث عنها صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣ م) في رسالته إلى « ريتشارد قلب الأسد » (١١٨٩ - ١١٩٩ م) - إبان الحروب الصليبية - فقال عن القدس : « من القدس عرج نبينا إلى السماء ، وفي القدس تجتمع الملائكة ، لا تفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها أبداً ، كما لا يمكن بحال أن نتخلى عن حقوقنا فيها كامة مسلمة . . ولن يمكنكم الله أن تشيدوا حجراً واحداً في هذه الأرض طالما استمر الجهاد » . .

● أما دعوى « وثيقة » رابطة الدفاع اليهودية ، أن القدس « لم تتحول في يوم من الأيام إلى مركز ثقافي إسلامي » ، فيفتقدا ويدحضها مكانة القدس في الثقافة الإسلامية عبر أكثر من أربعة عشر قرناً متواصلة . .

فالمسلمون هم الذين أطلقوا على هذه المدينة اسم : القدس ..
وبيت المقدس .. والحرم القدسى .. والقدس الشريف .. فجعلوا
من القدس اسمًا لها ، وعنوانًا عليها ، يعبر عن قداستها ومكانتها
القدسة في الثقافة الإسلامية والعقل الإسلامي والوجودان الديني
الإسلامي ..

وكما «جاور» العلماء والزهاد والعباد والمجاهدون وطلاب العلم
في الحرم المكي والحرم المدنى ، ظلوا عبر تاريخ الإسلام «يجاورون»
في الحرم القدسى ..

وحجم الأشعار التي نظمها شعراء الإسلام في الحرم القدسى
يبلغ المجلدات في ديوان الأدب الإسلامي .. فلقد كانت دائمًا
- عندهم - رمز الصراع بين الحق والباطل ، ومفتاح الانتصارات ،
ورمز الاستقلال والتحرر من موجات الغزو والغزاة ..

وهيئجت للبيت المقدس لوعة
يطول به سامنه إليك التشوّق
هو البيت إن تفتحه ، والله قائل
فمادونه بباب من الشام مغلق
وذلك فضلًا عن مثاث المخطوطات التي كتبت في مناقب
وفضائل هذا الحرم القدس الشريف ..

● أما أن هذه المدينة - القدس - «لم تكن في يوم من الأيام
عاصمة لدولة إسلامية» - كما تقول «وثيقة» رابطة الدفاع
اليهودية - فهي دعوى - ككل الدعاوى التي فندناها - لا حظ لها
من المنطق الذي يقيم دليلاً على المقصود التي يريد لها اليهود ..

فالدولة الإسلامية - منذ ظهور الإسلام ، وحتى إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ م - كانت دولة خلافة جامعة ، احتضنت بمركز العاصمة فيها مدن معدودة ، لا تتجاوز الست - هي : المدينة .. والكوفة .. ودمشق .. وبغداد .. والقاهرة .. والستانة - .. فهل يعني ذلك أن كل مدن الإسلام - والتي تعد بالآلاف - في عالم الإسلام ، من « غانة » - غرباً - إلى « فرغانة » - شرقاً - ومن حوض نهر الفولجا - شمالاً - إلى جنوب خط الاستواء - جنوباً - .. هل يعني ذلك أن كل هذه المدن ليست إسلامية ؟ أو لا أهمية لها في حياة الإسلام والمسلمين ، أو لا حق فيها للمسلمين !

ثم .. إن مكة المكرمة ، لم تكن في يوم من الأيام عاصمة لدولة إسلامية .. فهل يعني ذلك أنها لا أهمية لها في حياة الإسلام والمسلمين !

● ومع هذه المكانة للقدس في القرآن الكريم .. وفي معجزات رسول الإسلام .. وبين المدن الإسلامية الثلاث ، التي تميزت بالحرمة ، فقدت حرماً آمناً ومقدساً في وجدان المسلمين وحياتهم العلمية ، والفكرية والثقافية والأدبية والروحية .. فلقد تميزت السيادة الإسلامية على القدس ، عبر تاريخها الإسلامي ، بميزة تفردت بها القدس الإسلامية عن حياة هذه المدينة - إبان اغتصابها من قبل الآخرين .. ففي الحقب التي انحسرت فيها السيادة الإسلامية والعربية عن القدس ثم احتكارها من قبل

الغاصبين ، بينما تميزت السيادة الإسلامية عليها بإشاعة قدسيتها بين كل أصحاب المقدسات من مختلف المذاهب والديانات .. حتى غدت هذه الحقيقة قانوناً في تاريخ هذه المدينة المقدسة ، لم يعرف التخلف أو الاستثناء .

لقد احتكرها الرومان - في عهده وثنيتهم - دون النصارى واليهود .. فلما تدبرت الدولة الرومانية بالنصرانية احتكرت القدس دون اليهود ، بل ودون المذاهب النصرانية التي لا يرضي عنها الرومان !

وعندما اغتصبها الصليبيون الفرنجية ، احتكروها دون المسلمين واليهود .. واليوم ، يصنع الصهاينة هذا الاحتكار للقدس ، بالتهويد ، وتهديد المقدسات غير اليهودية ، وتقليل وجود العربي - الإسلامي والمسيحي - في هذه المدينة ..

على حين سجل التاريخ الإسلامي للقدس ، أن المسلمين هم الذين سمحوا لليهود بالعيش فيها ، والتعبد بها ، بعد أن كان أهلها النصارى - إبان الفتح الإسلامي لها - يطلبون ألا يسكن فيها أحد من اليهود ولا من اللصوص !

وفي عهدها الإسلامي أشاع المسلمون قداستها وقدسيتها لكل أصحاب المقدسات ، على اختلاف المذاهب وتنوع الديانات .. لا يجرد « التسامع الإسلامي » ، وإنما لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يكتمل الإيمان به إلا بالإيمان بكل النبوات والشراطع والرسالات .. فالمسلمون وحدهم - بحكم عقيدتهم الدينية - هم

الذين يعترفون بالآخرين ، ويؤمنون بقدسية وحرمة مقدسات هؤلاء الآخرين ، ومن ثم فإنهم وحدهم - بحكم هذه العقيدة ، التي صدّقت عليها الممارسات التاريخية - المؤمنون على كل مقدسات هذا الحرم القدس الشريف .. فإن إسلامية السيادة على هذه المدينة ، ليست مصلحة إسلامية خاصة ، ولا امتيازاً فلسطينياً وطنياً ، ولا ميزة قومية عربية .. وإنما هي - أولاً وقبل كل شيء - الضمان لبقاء القدس حرماً آمناً لكل الذين يعبدون الله ..

تلك هي حقيقة قضية القدس .. وعلاقتها ومكانتها بين اليهودية والإسلام ..

ويمثل هذا المنطق يجب أن يكون الحوار مع الآخرين .. والتفنيد لدعوى الخصم .. فيه نقنع المخوازين .. وننذدّد يقيناً بحقنا المشروع في القدس الشريف .. ونسحب البساط من تحت أقدام الخصم .. ويكون حوارنا مع العالم حوار العلم بمنطق العلماء ..

والله - سبحانه وتعالى - أعلم ..

القدس - كل القدس - حرم مقدس .. كما أن مكة - كل مكة - حرم مقدس .. ولقد أطلق القرآن الكريم على هذه المدينة المقدسة مصطلح « المسجد » قبل الفتح الإسلامي لها ، وقبل بناء المساجد الإسلامية فيها .. فهى « مسجد » كما أن مكة « مسجد » - أى قبلة للساجدين - .. حدث ذلك منذ العام الثاني قبل الهجرة - عام معجزة الإسراء - : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١) ، فالإسراء قد حدث من مكة إلى القدس - المسجد - .. وهو قد أقام رباطاً بين هذين الحرمين المقدسين ، هو آية من آيات الله ، سبحانه وتعالى .. وهو رباط يجسّد وحدة الدين الإلهي عبّر كل النبوات والرسالات .. فالمسجد الحرام ، الذي هو أول بيت وضع للناس في الأرض ، والذى أصبح قبلة أمّة الرسالة الخاتمة ، عندما يربط الله - بالإسراء - بينه وبين القدس - قبلة النبوات السابقة - إنما يرمز بذلك إلى وحدة الدين الإلهي ، وإلى اكتماله بالإسلام ، وإلى جمع العقيدة الإسلامية الإيمان بكل الرسول والرسالات من آدم إلى محمد ، عليهم الصلاة والسلام .. لا تفرق بين أحد من رسلي .. وإذا كان المسلمون هم الذين سموا هذه المدينة : « القدس » ، « القدس الشريف » ، و « بيت المقدس » ، و « الحرم القدسي » ،

منذ فتحهم لها (سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م) – وذلك بعد أن كان اسمها يومئذ «إيليا الكبرى» – فقد صنعوا ذلك ليعلنوا بهذه الأسماء القدسية عن قداستها ، ولم يكن قد قام فيها يومئذ مسجد من مساجد الإسلام ، ولا دخل أحد من أهلها في دين الإسلام ! لقد عاملوها – كما شاء الله لها – معاملة الحرم المقدس .. وتجلى هذا الاعتقاد الإسلامي في أحداث الفتوح .. فكما أن مكة حرم مقدس ، ولذلك لا يحل فيها القتال .. كذلك عامل الفاتحون المسلمين القدس ، فحاصرها جيش المسلمين ، بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ، حتى رغب أهلها في الصلح ، دوغا قتال ، لأنها حرم لا يحل فيها القتال .. بل لقد ظلت هذه الحرمة عقيدة إسلامية مرعية عبر عصور التاريخ .. فعلى الرغم من أن الصليبيين الذين اقتحموا القدس عنوة (٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م) قد أبادوا جميع من بها من المسلمين ، عندما أقاموا فيها مجزرة دامت سبعة أيام ، لم يسلم من الذبح فيها حتى الذين احتموا بالمسجد الأقصى ، فذبحهم الصليبيون ، حتى جرت الدماء في المسجد كالنهر ، وسبحت فيه خيوط الصليبيين حتى لجأم هذه الخيوط !! .. على الرغم من ذلك ، عامل صلاح الدين الأيوبي (٥٤٢ - ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣ م) هذه المدينة المقدسة معاملة الحرم الذي لا يجوز ولا يحل فيه القتال .. فحاصرها (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) حتى صالح الصليبيون فيها على التسلیم .. فهى ليست مجرد مدينة .. وإنما هي حرم ، وبعبارة صلاح الدين : «إنها إرثنا وإرث كل أصحاب الديانات .. فيها تجتمع الملائكة .. ومنها عرج نبينا إلى السماء » ..

ولتقديس الإسلام لهذه المدينة ، باعتبارها مسجداً وحرماً وقبلة للنبوات السابقة . . ولأن الإسلام وحده هو الذي جعل الإيمان بالنبوات والرسالات السابقة جزءاً من عقيدته ، تميزت السلطة الإسلامية عبر تاريخ السيادة السياسية للدولة الإسلامية على مدينة القدس ، بإشاعة قدسيتها لكل أصحاب المقدسات من أبناء كل الديانات السماوية . . فكانت الدولة الإسلامية وحدها والسلطة الإسلامية دون سواها هي المؤمنة والأمينة على المقدسات غير الإسلامية في هذا المحرم القدسي الشريف . . بينما كان العكس - أى الاحتكار - هو موقف كل السلطات غير الإسلامية التي استولت على مدينة القدس . . فالرومانيون قد احتكروها لأنفسهم ، دون اليهود والنصارى ، في حقبة الوثنية الرومانية وبعد أن دخلوا في النصرانية احتكروها دون اليهود . . وعندما فتح المسلمون القدس ، كان من مطالب أهلها - النصارى - ألا يسكن فيها أحد من اليهود ولا أحد من المتصوّص . . وصنع هذا الاحتكار أيضاً الصليبيون ، الذين احتلوها تسعين عاماً ، فيبعد أن ذبحوا اليهود مع المسلمين ، احتكروا مقدسات المدينة ، حتى لقد حولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية ، وإلى اصطبل لخيول فرسان الإقطاع اللاتين . . وتفس الاحتكار يصنعه الصهاينة - اليوم ، عندما يطاردون الوجود العربي فيها - إسلامياً ونصرانياً - ويهددون المقدسات بالاستيلاء والهدم والتحرييل !

والفارق بين المسلمين وغيرهم في هذه القضية - إشاعة قدسيّة القدس أو احتكاراتها - ليس مجرد تسامح يقابل التّعصب . . وإنما هو دين واعتقاد ديني . . فالإسلام وحده هو الذي يعترف بكل

الرسالات والشرائع الدينية ، ومن ثم يعترف بقدسية مقدسات أهلها ، ولقد جعلت دولته من أمان وتأمين غير المسلمين على عقائدهم وصلبانهم وكنائسهم - مع أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم - دينًا وعهداً ومياثقاً .. بينما اليهودية لا تعترف لا بال المسيحية ولا بالإسلام .. والنصرانية تتخذ نفس الموقف من الآخر الدينى ومن مقدساته .. ولذلك ، لم تكن صدفة ، ولم يكن مجرد تسامع أن تشيع قدسية القدس بين كل أصحاب المقدسات ، في ظل السيادة الإسلامية على القدس ، وأن تقع هذه المدينة وقداستها في الاحتياط عندما يحتلها الآخرون .. الأمر الذى يجعل من السيادة الإسلامية على القدس المصلحة الحقيقة لكل أصحاب الديانات ، وليس فقط للمتدينين بدين الإسلام .. ولأن هذه هي حقيقة الاعتقاد الإسلامي ، التي جسدتها السيادة الإسلامية على القدس ، فلقد رأينا - عبر تاريخ هذه المدينة المقدسة - حجج أوقاف الكنائس النصرانية تنص على أن يكون «ناظار» هذه الأوقاف الكنسية من المسلمين .. بل وتنص كثير من هذه الحجج على أن تكون «مفاتيح» الكنائس بيد أسر مقدسية مسلمة !

* * *

ولأن هذا هو مقام القدس في عقيدة الإسلام والمسلمين .. وموقعها في التاريخ الإسلامي .. ومكانتها في الدولة الإسلامية .. فإننا يجب أن نتعامل معها ، في هذا الطور من أطوار الصراع التاريخي حولها وعليها ، باعتبارها أكثر من قطعة أرض ..

وأعظم من مدينة .. وأهم من عاصمة للدولة الفلسطينية .. وأخطر من كونها قلب الصراع العربي الصهيوني .. إنها كل ذلك وأكثر من ذلك .. إنها جزء من عقيدة أمة يبلغ تعدادها ملياراً وثلث المليار، وليست مجرد قضية وطنية لثمانية ملايين من الفلسطينيين، ولا مجرد مشكلة قومية لا أقل من ثلاثة مليون عربي .. إنها عاصمة الوطن الفلسطيني .. ومحور الصراع العربي الصهيوني، وفوق كل ذلك، إنها عقيدة إسلامية، وحرم مقدس، والرباط بينها وبين الحرم المكي هو التجسيد لعقيدة وحدة دين الله، التي جاء بها الإسلام .. فإسلامية القدس، وإسلامية موقفنا في الصراع حولها، يضيف للإمكانات الوطنية الفلسطينية والطاقات القومية العربية، ولا ينتقص منها .. بل إن هذه الإسلامية لقضية القدس، هي - كما أشرنا - في مصلحة سائر أصحاب المقدسات من سائر المسلمين بالديانات ..

* * *

وإذا كانت هذه هي حقيقة أبعاد موقفنا من قضية القدس .. فإن الوعى بهذه الحقيقة، واستدعاء طاقات هذه الأبعاد الإسلامية .. تتزايد وتشتد عندما نعلم أبعاد الموقف المعادي إزاء هذه المدينة المقدسة ..

صحيح أننا نواجه - في القدس وفلسطين - مشروعًا استعماريًا استيطانيًا عنصريًا، لكنه ليس كغيره من المشاريع الاستيطانية العنصرية - كالذى قام فى جنوب إفريقيا مثلاً - وإنما نواجه أبعادًا أسطورية دينية لهذا المشروع الاستيطانى الاستعماري العنصري، تجعل من استدعاء الأبعاد الدينية الإسلامية موقفنا من هذه

القضية ضرورة صراعية ، فضلاً عن أنها دين واعتقاد ..

فهذا المشروع الاستيطاني العنصري ، القائم الآن في القدس وفلسطين ، قد تبلور أول ما تبلور في « اللاهوت البروتستانتي » الغربي ، انطلاقاً من الفكر الأسطوري حول « رؤيا يوحنا » ، وعودة المسيح ^{الظاهر} ليحكم الأرض ألف سنة سعيدة ، بعد معركة « هرقل ومجدون » ، والذي جعل من جمع اليهود وحشدهم في فلسطين ، وتهويد القدس ، وإقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى ، أي جعل من تحقيق العلو الصهيوني ديناً يتدين به البروتستانت في الغرب .. ثم حدث التبشير بهذا المشروع البروتستانتي بين الجماعات اليهودية ، فتلقتها الصهيونية - كحركة قومية عنصرية - والإمبريالية الغربية - إبان زحفها على الشرق الإسلامي - وبحثها عن أقليات توظفها - كمواطئ أقدام - في المشروع الاستعماري .. فاجتمعت لهذا المشروع الاستيطاني الاستعماري العنصري عناصر متعددة ومركبة ، منها :

١ - البعد الديني في لاهوت النصرانية الغربية .. وهو الذي بدأ ببروتستانتيا ، ثم مارس الابتزاز والتأثير على الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، حتى جعلها تشرع في « تهويد نصرانيتها » - بدلأً من تحقيق الاعتراف اليهودي بالنصرانية ! - فههى الآن تسعى لتجعل « يهوه » إلهها .. وتحدث عن « دمج المسيح في إسرائيل » .. وتعذّل ، ليس فقط في « الفكر المسيحي » ، وإنما في « الأنجيل والصلوات » ! .. لتصل إلى طلب « الغفران » من اليهود ، بعد أن عاشت قرونًا تبيع « صكوك الغفران » !

٢ - والبعد الاستعماري العلماني - بل والدھرى الوضعي والمادى - .. فيبونايرت (١٧٦٩ - ١٨٢١ م) الوضعي الدهري .. هو أول من دعا إلى توظيف هذه الأساطير الدينية في خدمة مشروعه الاستعماري .. و «سايكس» - السياسي الاستعماري الإنجليزي - الذي عقد مع «بيكوه» - الفرنسي - معاهدة «سيكس - بيكوه» سنة ١٩١٦ م لتمزيق الدولة العثمانية ، وتوزيع أجزائها العربية بين القوى الاستعمارية .. قد أقاموا له تمثالاً في قريته «سلدمير» - بمقاطعة «يوركشاير» .. مكتوب عليه : «ابتهجى يا قدس» ! .. فالقدس هي هدف الاستعمار الغربي العلماني ، كما هي هدف اللاهوت النصراني الغربي ..

وعندما دخل الجنرال الإنجليزي «النبي» القدس سنة ١٩١٧ م ، تقمص صورة بابواز الحروب الصليبية ، فقال : «اليوم انتهت الحروب الصليبية» ! .. ويومها نشرت مجلة «بنش» (Punch) الإنجليزية رسمياً يمثل «ريتشارد قلب الأسد» - الملك الصليبي - وهو يقول : «الآن تتحقق حلمي» !

أما الجنرال الفرنسي «جورو» - الذي يرفع راية العلمانية الفرنسية المتطرفة - فهو الذي يذهب - عند دخوله دمشق سنة ١٩٢٠ م - إلى قبر صلاح الدين الأيوبي ، ليركله بقدمه ، ويقول : «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين» !

فالبعد العلماني الغربي ، يتحالف ويعاتق ويساند ويوظف بعد اللاهوتى الغربى فى الصراع على القدس وفلسطين .

٣ - والبعد الإمبريالي الأمريكى المعاصر ، الجامع بين الدين

والاستعمار ، ها هو يوظف « المسيحية - الصهيونية » في خدمة « تدین » الاغتصاب الصهيوني الغربي للقدس وفلسطين .. فالكونجرس الأمريكي ، عندما يقرر في سنة ١٩٩٥ نقل السفارة الأمريكية إلى القدس - وبناءها على أرض الأوقاف الخيرية الإسلامية ١ - يقول ، في مقدمة قراره هذا : « إن القدس هي الوطن الروحي لليهودية » ١ .. مع أن هذه القدس لم يرها نبي اليهودية موسى عليهما السلام قد عاشا فيها برهة من تاريخها الطويل ، وسليمان عليهما السلام قد عاشا فيها برهة من تاريخها الطويل ، فهما - بنظر اليهود - ملوك وليسوا رسلًا ولا أنبياء .. فلم .. ٢ .. ومتنى كانت القدس الوطن الروحي لليهودية ١٢ .. إن الإمبريالية تحول الأساطير إلى دين تدعم به الاغتصاب ١

٤ - وأخيراً ، البعد العنصري الصهيوني ، الذي حول اليهودية إلى عنصرية صرفة ، لا علاقة لها بذلك الدين السماوي الذي أنزله الله على موسى عليهما السلام .. فتعريف اليهودي - في دائرة معارف كيانها الاستيطاني - هو « المولود من أم يهودية » .. أي أن هذا العامل « البيولوجي » ، وليس التدين بالدين ، هو الذي يحدد يهودية اليهودي .. فالمولود من أم يهودية - حتى ولو كان ابن زنا .. أو ملحداً - يصبح يهودياً ، ومن شعب الله المختار ، وصاحب الحق في الاستيطان والاغتصاب للقدس وفلسطين !!

هكذا ، نواجهه - في القدس وفلسطين - استعماراً استيطانياً إمبريالياً عنصرياً ، يوظف الأساطير والأوهام والأكاذيب ، ليجعلها ديناً يدعم المشروع الاستعماري ، و « روحانية » تغلف الاستيطان

العنصري .. فهل نترك العدو يدعم الباطل بالأساطير .. ونهمل
- نحن - تأييد الحق الفلسطيني الوطني ، والمطلب العربي القومي
بحقائق الوحي الإلهي ، وصادق الاعتقاد الديني ، وناصر
صفحات واقع الحضارة والتاريخ ١٩

إن الذين يخافون من « أسلمة » الصراع حول القدس وفلسطين
- حتى إذا حسنت نواياهم - هم كالسفهاء ، الذين لا يعرفون
قيمة « الأسلحة الإيمانية » ، التي ورثوها عن الأجداد في هذا
الصراع التاريخي الطويل .. وهم بهذه السفة إنما ينزعون من الأمة
أمضى أسلحتها في هذا الصراع ، فيرجحون بذلك كفة الأعداء
في هذا الصراع ..

إن إسلامية القدس ، هي « الحق » الذي نفل به أسطير
الاعداء .. وهي لا تنتقص من الإمكانيات الوطنية الفلسطينية
والطاقات القومية العربية في هذا الصراع ، وإنما تضيف إليهما
 Capacities الاعتقاد الإسلامي وإمكانيات أمة الإسلام ..

كما أن هذه الإسلامية لا تهدد جهادنا بشبهة « الحرب
الدينية » ، التي يخافها كثيرون ، لأن إسلامية القدس هي وحدها
ضمان شيوخ قدسيتها بين جميع أصحاب المقدسات ، من كل
الديانات .. ومن ثم فإنها ضمان عدم احتكارها .. وهو الاحتكار
الذي يهددها بالتهويد في هذه الأيام ..

* * *

الفهرس

٤	تقديم
	وجهة النظر اليهودية :
١	القدس يهودية .. . وليس إسلامية —
	وجهة النظر الإسلامي
٢٤	١ - القدس .. بين اليهودية والإسلام —
٣٩	٢ - إسلامية القدس .. ماذا تعني ؟ —



Authorised Edition of the Al-Aqsa Foundation (QDF) -
Published in accordance with the conditions of the
Public Domain



إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..
فإذن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د. محمد عمسارة • المستشار طارق البشري
- د. حسن الشافعى • د. محمد سليم العوا
- د. فهمى هوىدى • د. يوسف القرضاوى
- د. سيد دسوقي • د. كمال الدين إمام
- د. عبد الوهاب المسيري • د. شريف عبد العظيم
- د. عسادل حسين • د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

2000-1-27

AL-AHRAJ



٣٠٠

To: www.al-mostafa.com